غيابها اربع سنوات اشعرها ان التلفزيون غير وفيّ لأهله

ميراي مزرعاني: خلقت للمسرح الفسيح لأنني احب الضحك والحياة!

بيروت ـ «القدس العربي» ـ من زهرة مرعي:

«ايقاع» برنامج أعادها الى الشاشة بعد غياب لأربع سنوات. عادت ميراي مزرعاني المقدمة المحترفة جداً في برامج المنوعات كي يلمع صوتها في الاستديو طاغياً على كل ما عداه.

حيث تكون تتزرع الحركة والحيوية، على الشاشة أو في المنزل أو بين الأصدقاء، لذلك ترفض أن يكون البرنامج مهما كان حاكماً لها بل تطلب أن تكون هي المسيرة له بكل تفاصيله.

مع ميراي مزرعاني كان هذا الحوار الذي امتاز بالعفوية كما هي على الشاشة. هنا التفاصيل:

■ كيف أمضيت سنوات الغياب الأربع بعيداً عن الشاشة؟

■ **ساعدني على الاستمرار من دون عمل طوال هذه السنوات الاهتمام بالأولاد وبزوجي وبيتنا. لكن على الدوام كنت أقول «وبعدين»؟ كانت العائلة تلتقي على العشاء أو الغداء وينصرف كل منهم الى اهتماماته باستثنائي، الأمر الذي أشعرني بفراغ كبير، خاصة وأن ابنتي كبرتا ولم تعودا بحاجة دائمة لي، بل راحت كل منهما تبني حياتها وعلاقاتها المستقلة. عندما يكبر الأولاد يتراجع دور الأم في العناية، لكنه يتقدم لصالح الحوار المستمر اضافة الى التوجيه.**

■ في هذه المرحلة هل شعرت بأن التلفزيون ليس وفياً لأهله؟

■ **طبعاً التلفزيون غير وفي.**

■ وهل تذهب الشهرة مع قلة الوفاء أم يبقى لها أثر؟

■ **رغم غيابي الطويل، وحتى غيابي عن الفضائيات لأن قناة أم تي في لم تكن فضائية، الا أن المشاهدين اللبنانيين والعرب لا يزالون يحتفظون بذكرى طيبة عني منذ كنت على قناة «أل بي سي». الحمد لله عندما ألتقي بالناس أينما كان يقولون لي «يا مدام اشتقنالك». تركت علامة في أذهان الناس وهم يعرفون حتى اسمي. لكن من المؤكد أن جيل الشباب لا يعرفني.**

■ هل تلقيت عروضاً من فضائيات عربية؟

■ **تلقيت الكثير من العروض العربية التي لم تتخط حيز الكلام . من جهة أخرى كانت العروض ترتكز على السفر غير المحدد بمدة زمنية وهذا ما كنت أرفضه لارتباطي بعائلتي وحاجتها لي.**

■ عامل الأمومة يجذبك أكثر من الشهرة؟

■ **اسمي موجود وهو أمنّ لي نوعاً من الاكتفاء في سنوات العمل والاجتهاد الماضية. كذلك رفضت السفر لأن عمل زوجي يفرض عليه السفر الدائم، ومن المستحيل أن نترك الأولاد معاً. فكان القرار المشترك بأن أرفض كل العروض الى الخارج.**

■ الأضواء لم تبهرك وبالتالي تجذبك اليها بأي ثمن؟

■ **القناعة هي الأهم في الحياة، ويليها اعتناق المبادىء. قبل زواجي كنت أعمل في التلفزيون والاذاعة ولم تكن لديّ لحظة فراغ. تزوجت وتركتهما معاً وسافرت الى الولايات المتحدة لأربع سنوات وأنجبت طفلتي. حتى قبل زواجي لم تكن الأضواء تعني لي الكثير. وقبل زواجي تلقيت الكثير من العروض للعمل في الخارج، لكن مكابحي الشخصية كانت سريعة الاستجابة.**

■ هل تتعاملين مع مهنتك كهواية؟

■ **هذا صحيح. كما أني من النوع الذي لا يطرق الأبواب، وليست لدي علاقات في أوساط التلفزيونات.**

■ لو كانت ظروف زوجك المادية محدودة فهل كان العمل ضرورة متواصلة بالنسبة لك؟

■ **طبعاً. عندها كان سعيي أكبر لايجاد عمل دائم يؤمن لي دخلاً متواصلاً.**

■ لماذا تم حصرك في برامج المنوعات؟ ولماذا لم تغادريها الى مهمة أخرى؟

■ **سبق وقدمت في ال بي سي برنامجان يرتكزان على الحوار، لكني لم أجد نفسي فيهما، أنا من النوع الذي يمرض حين يجلس على الكرسي.**

خلقت فقط للمسرح الفسيح. أنا على المسرح كما أنا في الحياة أحب الحركة والضحك. أينما أكون في محيطي أنقل اليه الفرح، فلماذا لا أنقل هذا الفرح للناس؟

■ هل تعدين لتسجيل حلقات «ايقاع»؟

■ **استعدادي نفسي. وأترك لعفويتي أن تنساب على المسرح. كما أعتمد على اللحظة والموقف الذي يصدر عن الضيوف.**

■ هل عرض عليك التمثيل الكوميدي؟

■ **عرضت عليّ أدوار في المسرح والسينما والتلفزيون. رفضتها لأني لا أتقن التمثيل الذي له أربابه. التمثيل ليس طموحي. كما أني أخشى على صورتي.**

■ لست من هواة المجازفة؟

■ **لا أجرؤ على القيام بعمل ليس من اختصاصي. أؤمن بالتخصصية في كل مجالات العمل.**

■ ألا ترغبين في أي تبديل في وجهك؟

■ **عندما بدأنا التحضير لبرنامج «ايقاع» نصحوني بضرورة الظهور بـ«لوك» جديد. لكني رأيت بأن أكون نفسي عندما غبت قبل أربع سنوات. لم أرغب بأن أقول للمشاهد «أنا مشبشبة». لكني في مرحلة الغياب كنت شديدة الاهتمام بالحفاظ على وزني.**

■ ماذا قدم لك برنامج «ايقاع»؟

■ **قدم لي العودة الى الشاشة. وهو قدم لي بقدر ما قدمت له.**

■ هل شعرت بجديد في هذا البرنامج؟

■ **من أين سيأتي الجديد الى برنامج منوعات وألعاب؟ البرامج المماثلة تماشي الموجة السائدة على صعيد الاعداد مع اضافة الابهار. هذا ما فعله المعد جيلبير عبود في برنامجه ايقاع اذ ضمنه المسابقات، والموسيقى.**

■ بماذا يختلف برنامج ايقاع عن برنامج ياليل ياعين على قناة «أل بي سي»؟

■ **ياليل ياعين برنامج أجنبي، ونحن برنامجاً محلياً وليس بيننا تقليد.**

■ البرنامجان يعرضان يوم السبت محلياً والخميس فضائياً فهل من منافسة مباشرة بينكما؟

■ **ياليل ياعين كان يعرض يوم السبت، لذلك قررنا العرض يوم الجمعة، فاذا بهم ينقلون البث ليوم السبت.**

■ ما هو الاختلاف الذي تلاحظينه بين البرنامجين؟

■ **الاختلاف يقع في اطار التقديم أنا من النوع الذي يلبس البرنامج لبساً، وأنا من يسير البرنامج وليس البرنامج هو الذي يسيره. عندما أصعد الى المسرح يفترض أن أكون في راحة تامة لكي أتمكن من معايشة الأجواء. كما أن الفرق يكمن بالمشاهدين حيث لكل برنامج مشاهديه.**

■ كيف تصفين تجربتك بين «أل بي سي»، «أم تي في» و«المستقبل»؟

■ **«ال بي سي» لها الفضل الأول لأني انطلقت منها. تقدير الأقنية الثلاث مماثل في قلبي مع بعض الخصوصية لكل محطة مرتبطة بالتجربة والأشخاص الذين تعاونت معهم. بدأت في ال بي سي مع الراحل رياض شرارة ومع أقوى مخرج منوعات هو سيمون أسمر. لي الفخر بأني عملت مع «أل بي سي» حين كانت في مرحلتها الذهبية. في هذه المحطة عملت لعشر سنوات من بعدها تلقيت نصيحة من سيمون أسمر بالانتقال لغيرها لأنه لم يعد أمامي مجال للتطور. وفي تلك المرحلة لم أكن أرتبط بأي عقد مع «أل بي سي». سيمون أسمر كان يرغب بترك العمل والانتقال الى أم تي في فشجع مجموعة من العاملين كي يسبقونه الى هناك. ذهبت الى أم تي في التي منحتني عقداً لخمس سنوات وهذا لم يكن لي في «أل بي سي». والمستقبل أعادني الى الشاشة بعد غياب.**

■ الآن هل تشعرين بالنضوج في تعاملك مع البرنامج؟

ميراي مزرعاني (القدس العربي)

■ **طبعاً. عندما كنت بصدد الاطلالة مجدداً شعرت بخوف وقلق رهيبين وهذا لم أكن أحسه من قبل. قد يكون للغياب أثره على نفسيتي، ربما كنت أخشى من عدم استعادتي لمكانتي في قلوب الناس. حالياً أنا في تصالح أكبر مع الكاميرا وبيننا وحدة حال. في السابق كنت أشعرها أقوى مني. حالياً نحن أصدقاء لدرجة كبيرة.**

حزين على ما وصل اليه الوسط الفني من انهيار

كمال الشناوي: التلفزيون أهان تاريخي والمهرجانات لم تهتم بفيلمي الأخير

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

حالة من الغضب ظهرت بوضوح على النجم الكبير كمال الشناوي الذي يشعر أيضا بالحزن لما وصل إليه الوسط الفني من انهيار في القيم والتقاليد.

قال الفنان الكبير كمال الشناوي: في الصيف الماضي قدمت بطولة مشتركة مع الفنان الشاب هاني رمزي بفيلم «ظاظا» إخراج علي عبدالخالق وتأليف طارق عبدالجليل، والجميع أشاد بدور رئيس الجمهورية الذي جسدته على الشاشة بالشكل الذي يرضيني.

أضاف: توقعت اهتمام المهرجانات بفيلمي وحصولي على جائزة من أي محفل دولي يعطيني الثقة في الفن وأن أواصل عطائي، لكني فوجئت بأن المهرجانات الدولية تعامل بأسلوب «ودن من طين وودن من عجين»، ولا حتى شهادة تقدير على دوري الذي انبهر به الناس، والفنان عندما يتقدم في السن يحتاج إلى الحنان والحب واقتراب الناس منه أكثر، وهذا لم أجده بعد نصف قرن من العطاء الفني.

استطرد قائلا: واجهت تلك السلبية بالصمت، وفوجئت مؤخرا أن التلفزيون يتصل بي لترشيحي في أحد المسلسلات، فطلبت السيناريو والحوار، وكانت الصدمة الكبرى لي أنهم يرسلون لي خمس ورقات فقط هو كل دوري لشخص مات في الأحداث ويظهر كالشبح، فأعدت الاتصال بالمسؤولين عن المسلسل ظنا وجود خطأ في الترشيح وأن هذا الدور لممثل جديد وليس لي، لكنهم أكدوا لي أنه دوري!

وذكر كمال الشناوي أن هذا يؤكد على انهيار القيم والأخلاقيات والمبادئ في الوسط الفني وأنهم لا يهتمون بشخص مثله في مكانته وعطائه، وله أن يتوارى عن الجميع أفضل له من العمل مثل الكومبارس يهين به تاريخه الطويل.

وقال الشناوي: لقد رفضت أفلاما كثيرة لأنها ذات انتاج ضعيف رغم دوري الكبير، لكنني في الوقت الحالي أبحث عن بصمات فنية جديدة لي ولن أهين تاريخي بأي عمل.

أشار كمال الشناوي إلى أنه سيبتعد عن الساحة ولديه استعداد تام لاعتزال الفن طالما أن الوسط يقدم له الإهانة بهذا الشكل، لأنه اكبر من هذا التصرف المسيء لاسمه ومكانته بين الناس في الوطن العربي.

وقال: في مصر الفنان عندما يكبر يهان!

كمال الشناوي في احد مسلسلاته (القدس العربي)

الاستثمار في صناعة الفيديو كليب بالشرق الأوسط بلغ 16،4 مليار دولار

عمر خيرت: تحالف الشركات مع المحطات ادى إلى فساد الذوق العام

القاهرة ـ «القدس العربي»:

كشفت دراسة اقتصادية خطيرة أن حجم الاستثمارات العربية في صناعة الفيديو كليب بلغت 16،4 مليار دولار في منطقة الشرق الأوسط فقط. الدراسة أعدها د. أحمد حجازي استاذ الاقتصاد الاجتماعي بجامعة الزقازيق، وأكد فيها أن صناعة الفيديو كليب أصبحت تستحوذ على فكر وعقول رجال الاستثمار بعد أن تحولت إلى سلعة مربحة تحقق لهم الملايين.

وقال: انتاج الفيديو كليب في حالة اتساع متصاعد، وان رصد حركة الاغاني المصورة في القنوات الفضائية احدث مفاجأة أن هناك حوالي خمسين مطربا ومطربة يظهرون كل شهر في أغاني فيديو كليب على المحطات المختلفة عبر أكثر من خمس عشرة قناة فضائية عربية، وأن تلك القنوات تنتج مئات الأغاني شهريا.

أرجعت الدراسة السبب المباشر وراء هذه الزيادة الانتاجية في الأغاني إلى الأرباح الهائلة التي تجنيها الشركات من انتاج الفيديو كليب الذي أصبح وفقا لتعريف العاملين بصناعته أقرب إلى الإعلان الذي يسبق السلعة لترويجها، والسلعة هنا هو المطرب أو المطربة، وكما كان الإعلان ساخنا وتضمن ايحاءات جنسية معلنة أو بشكل غير مباشر كلما نجحت السلعة في الترويج لنفسها أكثر وحققت أرباحا ضخمة.

وأن القنوات المتخصصة ساعدت على زيادة الاهتمام بأغاني الفيديو كليب من خلال ساعات البث التي تصل إلى مدار اليوم كله، وتتيح للمحطات ملء ساعات البث بأقل تكلفة وأحيانا بدون أي تكلفة لتلقيها عددا كبيرا من الأغاني على سبيل الهدية نظير عرضها فقط.

اهتمت الدراسة بالمطربين المغمورين واكتشفت انهم يدفعون لبعض المحطات لعرض اغانيهم حتى ينالوا الشهرة والنجومية السريعة، وأدى ذلك إلى قيام بعض المحطات الفضائية بعمل تسعيرة لعرض الفيديو كليب على شاشاتها مثلما «ميلودي» و«دريم». وصلت في بعضها الى عشرة آلاف جنيه نظير عرض الأغنية ثلاث مرات في اليوم. وأدى ذلك الى اهتمام شركات انتاج الاغاني بإقامة قنوات فضائية غنائية لها مثل محسن جابر في قناة «مزيكا» ونصيف قزمان في قناة «ميلودي» والأمير الوليد صاحب شركة ومحطة «روتانا».

الموسيقار عمر خيرت أكد أن فساد الذوق العام بسبب تحالف شركات الانتاج والقنوات الفضائية حيث يصبح الاهتمام الأكبر بالأرباح دون النظر إلى أي قيم أخرى، الأمر الذي أفسد الصناعة والمجتمع في آن واحد، وأكد أن هناك قائمة بالمنتفعين من وراء ما يحدث حاليا تبدأ بالمخرج وتنتهي بالعاملين خلف الكاميرا.

أشار خيرت الى عدم وجود احصاءات دقيقة حول حجم صناعة الفيديو كليب نتيجة غياب الجهة التي توثق هذه المعلومات وكثرة الأغاني والمطربين الذين يظهرون يوميا في هذا المجال وان كانت هناك فرصة لتحقيق هذه المتابعة من خلال دخول الأغنية أرشيف القنوات الفضائية لتحصل على رقم مسلسل أو كود.

أضاف: هذا الكود يتم توظيفه في القنوات بالشكل الذي يحقق عائدات أكبر، ففي «ميلودي» يستخدم الكود في رسائل المحمول، وهناك كود آخر للاستماع اليها من خلال الاتصالات الهاتفية وآخر لتحويل الأغنية الى نغمات للمحمول الأمر الذي جعل قناة «ميلودي» تحقق أرباحا تصل إلى 5 ملايين جنيه شهريا، بينما نجحت قناة «مزيكا» في ادخال تقنية جديدة تعتمد على ارسال الصور الفوتوغرافية من خلال المحمول مما يزيد من تكلفة ارسال الرسالة الواحدة إلى الضعفين فتحقق أكثر من سبعة ملايين جنيه شهريا.

المخرج عثمان أبو لبن يقول: ميزانية انتاج الفيديو كليب حاليا وصلت إلى مليوني جنيه، وفي المقابل هناك فيديو كليب لا يصل الى عشرة آلاف جنيه، هذا الفارق في الرقم والتكلفة بسبب نوعية معدات التصوير وهل الكاميرا ديجيتال أم من نوع تقليدي، وعدد المجاميع في الكليب وهل هم أجانب أم مصريون، وأماكن التصوير داخلية أم في الخارج؟

عمر خيرت

يعلق المطرب مصطفى قمر على ذلك قائلا: لا تهاجموا الفيديو كليب لأنه رزق للعاملين فيه، فكل أغنية يعمل بها خمسين فردا على الأقل.

مشيرا الى أن هناك عاملين لا يجدون أي عمل في السينما والمسلسلات ولولا صناعة الفيديو كليب وهي صناعة يومية لظل الكثير منهم دون عمل لفترات طويلة.

فضائيات

وليمة الأضحى لأكلة لحوم البشر: عرض متواصل.. وإقبال منقطع النظير!

د. عماد عبد الرازق*

في أي مكان من العالم يستيقظ المرء صباحا فيستهل يومه «السعيد» بأن يدير جهاز التلفزيون ليستمتع بمشاهدة حفلة إعدام؟ بل في أي كوكب من هذا الكون الفسيح يحدث هذا إلا في «كوكب» العراق؟ فما بالكم إن كان هذا اليوم بالذات هو عيد الأضحى المبارك، وفي صباح هذا العيد بالذات يستيقظ المسلمون في جميع أرجاء العالم الإسلامي على تكبيرات الصلاة وتبادل التهاني والتمنيات الطيبة بعيد سعيد، يتناولون الإفطار، ويتصدقون على الفقراء بالمال أو لحوم الأضاحي، فيما الأطفال يلهون مبتهجين بملابسهم الجديدة. وفي الصباح ذاته يقف ما لا يقل عن مليوني إنسان بين يدي ربهم في مكة المكرمة يتضرعون ويتوسلون إليه سبحانه وتعالى أن يغفر ما تقدم وما تأخر من ذنوب لهم ولذويهم. إلا في العراق. اختار تلفزيون الحكومة العراقية المنتخبة الغارقة لأذنيها في الديمقراطية أن يقدم الى العراقيين هذه الهدية الثمينة: حفل إعدام رجل في التاسعة والستين من عمره كان بالأمس القريب رئيسا للعراق. الحفل بث كاملا بالمؤثرات الصوتية والمرئية التي تليق بطقوس واحدة من قبائل أكلة لحوم البشر في مجاهل إفريقيا التي لم يعد لها وجود. خلف الكاميرا أناس يكبرون ويهللون ويتصايحون: إلى جهنم.. إلى جهنم. وتلهث حناجرهم باسم القائد الجديد المفدى، والزعيم المبدى، القائد الضرورة، القائد الملهم، المعصوم عن الخطأ، يا مقتدى.. يا مقتدى.. يا مقتدى..

إن لم تكن تلك هي الهمجية بعينها فما عساها أن تكون؟

بعد بث الحفل الذي نقلته قنوات عديدة عن تلفزيون الحكومة العراقية، خرج علينا جهابذة هذه الحكومة الديمقراطية جدا وأقطاب عمائمها ينظرون لاختيار هذا اليوم بالذات للإعدام. أحدهم قال «أردنا أن يكون يوم إعدامه يوما خاصا متميزا»! وآخر قال «أردنا أن تكون الفرحة فرحتين، فرحة العيد وفرحة إعدامه»، وقبله بدقائق قليلة كان جهبذ آخر قد تطوع بالإيضاح «أن أول أيام عيد الأضحى لم يكن السبت في العراق، بل الأحد، على العكس من بقية العالم الاسلامي» طبعا لأن العيد الشيعي غير العيد السني؟ وهذه أيضا استعصت على فهمي، وبمعنى آخر فإن كان الإعدام غير مستحب يوم العيد فهو بالتأكيد مقبول يوم الوقفة!؟ هذه الأكاذيب الفجة فضحها ما تكشف في غضون ساعات من تنفيذ الإعدام كتصريح القاضي السابق الذي أزيح من منصبه في محاكمة الرئيس العراقي الراحل، رزكار محمد أمين، أن تنفيذ حكم الإعدام في يوم عيد الأضحى ـ أو أي مناسبة دينية أخرى ـ مخالف للقانون العراقي. أو رفض الحكومة العراقية وساطة السفير الأمريكي زلماي خليل زاده لتأجيل تنفيذ الحكم لأسبوعين. أما المسؤول الحزبي العراقي الذي أطل علينا من لندن فقد تفوق على نفسه تبجحا حين قال «إن العراق بلد مستقل وذو سيادة تحكمه حكومة منتخبة ولا شأن لأمريكا بإعدام صدام من قريب او بعيد، لأنه متهم عراقي والمحكمة عراقية»! ولولا أنني رأيت سماء العاصمة البريطانية بمعالمها الشهيرة التي أحفظها عن ظهر قلب بادية خلف المتحدث لظننت أنه يتحدث من كوكب عطارد أو أورانوس أو بلوتو، أيها أبعد عن كوكبنا التعيس؟

ولن أتوقف هنا عند التصريحات التي صدرت عن ساسة ومسؤولين غربيين في إدانة الإعدام أو رفضه، لأن الغرب ببساطة توقف عن ان يمثل ذلك النموذج الأخلاقي الذي يجب أن يحتذى، فهذا الغرب يعاني من فيروس العهر الإسرائيلي الذي ما أن يطال أحد بلدانه حتى يصاب ساسته بالصمم والعمى والبكم إذا ما تعلق الأمر بعالمنا العربي أو الإسلامي. هل تذكرون هوجة الإعلام الغربي حين عرض التلفزيون العراقي صورا لأسرى بريطانيين وأمريكيين في حرب الخليج الأولى عام 1991 وقد ظهرت عليهم آثار كدمات؟ أو صور جثث لجنود أمريكيين، وما أعقب ذلك من سيل الاتهامات بالوحشية والبربرية والهمجية الذي انهال على رؤوس العراقيين وكيف أن ذلك مخالف لاتفاقات جنيف في معاملة الأسرى؟ إنهم نفس العراقيين هذه المرة لكن الأصوات إياها خرست أو أشاحت بوجهها بعيدا لأن «الهمجية البربرية الوحشية» جاءت على هواهم هذه المرة. (هل تذكرون كيف فشلت كل ضغوط الرأي العام البريطاني والأوروبي، ورغم الفتوى القانونية التي صدرت عن مجلس اللوردات ـ أعلى سلطة افتاء قانوني في البلاد ـ بجواز تسليم جنرال تشيلي السابق أوغستو بينوشيه للقاضي الأسباني لمحاكمته على جرائم ضد الانسانية ارتكبها ضد شعبه؟ فشلت كلها في إقناع حكومة توني بلير بتسليم الدكتاتور العجوز لمجرد محاكمته لا إعدامه، وتعللت وزارة الداخلية البريطانية باعتلال صحته. والحقيقة أنه كان الدكتاتور المفضل لدى مارغريت ثاتشر لما أسداه من خدمات جليلة في محاربة الشيوعية على حد قولها.

ولن أتوقف عند المحاكمة التي تابع العالم أجمع فصولها الهزلية لكنني أتساءل عن تلك المرجعيات الأخلاقية التي يستند إليها المتشدقون باسم الدين من أصحاب العمائم الديمقراطية؟ بأي منظومة من القيم يؤمنون أو يسيرون على هديها؟ هل هناك من متعة أو لذة أو إشباع يمكن أن يرتجى من مشاهدة رجل في التاسعة والستين من عمره يساق الى حبل المشنقة؟ وأن يحدث هذا في يوم يتوجه فيه ملايين المسلمين طلبا للرحمة والمغفرة من الله: الرحمن، الرحيم، التواب، الغفور، الرؤوف، الغفار، العزيز، الحكيم، الوهاب.... وكم غيرها من أسماء الله الحسنى تحمل معاني الرحمة والغفران والتسامح والتراحم.

حين يرتعد الجلاد من الضحية

ذكرني شريط إعدام صدام حسين الذي ظلت عدة قنوات فضائية تعيد بثه على مدار الساعة، بمشهد من مسرحية «مأساة الحلاج» للشاعر والكاتب المسرحي المصري الراحل صلاح عبد الصبور. المشهد يجسد واحدة من أكثر لحظات المسرحية درامية بمثل أنه يجسد القيمة الأهم في سيرة «الحلاج» الصوفي والمفكر الديني. يدور المشهد داخل السجن وفي زنزانة وضع فيها الحلاج بعد أن لفقت له تهم التجديف وادعاء الإلوهية من قبل حفنة من جلاوزة السلطان وبتواطؤ حفنة من خصومه مشايخ السلاطين. يقوم الجلاد المكلف حراسة «الحلاج» بجلده لمدة طويلة دون توقف، و«الحلاج» صابر متحمل للألم بجلد وإباء دون أن تصدر عنه صرخة ولا نبرة تأوه واحدة، حتى يكل الجلاد وينهار باكيا من صلابة الرجل ويبدأ في التوسل إليه متهدجا أن يغفر له وقد ساوره الشك أن الرجل لابد ولي من أولياء الله.

مفارقة مشابهة تلك التي شاهدناها في شريط إعدام صدام، فبينما أخفى جلادوه وحراسه وجوههم خلف أقنعة غطتها فيما عدا العينين، رفض هو تغطية رأسه كما هو المعمول به مع كل المحكومين بالإعدام وأصر على أن يواجه قدره حتى اللحظة الأخيرة بشجاعة وتماسك وهو ينطق الشهادتين، فيما المرعوبون الحقيقيون هم حراسه الذين لم يجرؤوا حتى على كشف وجوههم أمامه وبينه وبين الموت دقائق معدودات.

لم أكن يوما معجبا بصدام حسين، ولا بسياساته، وما كتبت يوما كلمة واحدة لا دفاعا عنه ولا مدحا ولا ذما لا من قريب ولا من بعيد. وما وطئت قدماي يوما العراق ولا أعتقد أن هذا سيحدث في المستقبل المنظور، وإن كنت أعتز بعشرات الأصدقاء والزملاء العراقيين من كل الطوائف والانتماءات الدينية والسياسية. بل إنني أستنكف هذا الاستطراد الذي يجد المرء نفسه مدفوعا إليه بسبب المناخ السياسي السائد في العالم العربي والذي بات مسموما ومشحونا بفيض من الثنائيات الحدية التي تختزل كل القضايا والمواقف المعقدة في كبسولات تبسيطية مخلة، فمن ينتقد طائفية الحكومة العراقية يعتبر صداميا، ومن يؤيد المقاومة هو إرهابي، ومن ينتقد إسرائيل هو معاد للسامية، وإن أنت ايدت حزب الله صنفت في خانة المتطرفين مع إيران وسورية، وإن لم تكن مع جورج بوش في حربه على الارهاب فأنت بالتأكيد ضده إن لم تكن نفسك إرهابيا متخفيا تتحين الفرصة للانقضاض. أنت إما هنا أو هناك، معهم أو معنا، أبيض أو اسود، هو ذاته منطق أفلام هوليوود التجارية التي تقسم العالم إلى أخيار واشرار لا وسط بينهما. وهذا المنطق يخفي وراءه ضربا من البلطجة الفكرية يهدف لإخراس كل صوت يعترض على ممارسات ومواقف اولئك الذين يشهرونه في كل المناسبات حتى بات خرقة بالية من كثرة ما استهلكوه.

فليكره أولئك العراقيون صدام حسين ما شاء لهم الكره، وليراكموا في ذلك ما شاؤوا من الأسباب والمبررات والحجج والأدلة الدامغة على أخطائه وخطاياه وجرائمه. ما لا أستطيع أن أفهمه ولا أتفهمه أن تتحول هذه الكراهية إلى ديانة جديدة لها طقوسها وشعائرها تقام لها الصلوات وتنحر «الذبائح» ليخرج أتباعها يرقصون على بقاياها وأشلائها.

ها قد مات صدام حسين وصار بين يدي ربه، فهل سيتوقف عن كونه «قميص عثمان» الذي يتاجر به الجلادون الجدد لتبرير بحار الدماء التي تجري كل يوم والخراب الذي عم البلاد على يد فرق الموت وميليشيات الرعب؟ إم إن إدامة الأسطورة مطلوب من أجل حجب جرائم وفظائع العصر الجديد وحرف الأنظار عنها؟ ها قد اكتملت طقوس دورة «التعازي» الكربلائية لطما وندبا ونواحا وعويلا فقصاصا فانتقاما وذبحا وقتلا وتقطيع أوصال بالمناشير وفقء عيون وثقبا بالمثاقيب فدق أعناق وشنقا لأرتال وأرتال من الجثث المشوهة، وها قد شفى العراقيون غليلهم بمنظر رئيس آخر في طابور رؤسائهم السابقين المسفوحة دماؤهم، فهل يرتد الجلادون الجدد عن غيهم ويعود العراق الى صوابه؟ هذا امر مشكوك فيه. فالدم لا يورث إلا الدم.

من خرافات العرب: العفو عند المقدرة

في الأسبوع الماضي رحل الرئيس الأمريكي الأسبق جيرالد فورد عن عمر ناهز ثلاثة وتسعين عاما، وبهذه المناسبة فتحت ملفات الرئيس الوحيد الذي لم ينتخب لا نائبا ولا رئيسا، فقد اختاره الرئيس ريتشارد نيكسون نائبا خلفا لنائبه السابق سبيرو أجنيو الذي استقال بسبب تورطه في فضائح فساد وتهرب ضريبي. ثم حل فورد محل نيكسون بعد أن استقال بدوره إثر فضيحة ووترغيت التي كشفت تواطؤه في التستر على تجسس موظفي حملته الانتخابية على مقر الحزب الديمقراطي. فترة تولي فورد على قصرها غصت بالإخفاقات ليست أقلها هزيمة أمريكا في فييتنام، فيما استهلها هو نفسه في غضون شهر من توليه بإصدار قرار عفو رئاسي عن كل الجرائم التي ارتكبها سلفه نيكسون. أثار القرار جدلا واسعا في أوساط الرأي العام الأمريكي آنذاك الى الحد الذي أضطر معه فورد للمثول أمام لجنة للكونغرس في سابقة كانت الأولى من نوعها لرئيس أمريكي، ليدافع عن قراره هذا، كل هذا لم يمنع من حجم الضرر السياسي الذي اثاره القرار بفورد فكان السبب المباشر وراء خسارته معركة انتخابات الرئاسة أمام الديمقراطي جيمي كارتر. وبهذا أنهى قرار العفو حياة فورد السياسية وتركه يتفرغ للعب الغولف مع صديقه نجم الكوميديا بوب هوب. وبعد مرور أكثر من ربع قرن على هذه الأحداث، خرج المؤرخون علينا الأسبوع الماضي ليعيدوا حساباتهم ويقولوا أن قرار العفو كان من أفضل القرارات التي اتخذها فورد لأنه ساهم في تضميد جرح الشعب الأمريكي ولم شمله ووضعه على طريق طي صفحة مخجلة ومؤلمة سطرها كذب رئيسهم وتضليله لهم.

نقيض هذا تماما هو ما فعله الجلادون الجدد في العراق الذين سارعوا إلى نصب وليمة الإعدام لأكلة لحوم البشر، وأهدروا فرصة ثمينة أخرى في لم شمل الشعب العراقي وتضميد جراحه ووقف سيلان الدماء وإعادة لحمته الى التماسك، إلى آخر مفردات قاموس الرطانة الفارغة التي يتاجر بها المنافقون.

تبا لأولئك الذين ضللونا صغارا ولقنونا في المدارس أن من شيم العرب العفو عند المقدرة ومن أمثالهم «ارحموا عزيز قوم ذل».

---

* ناقد من مصر يقيم في أمريكا

وارضيات